و للروح ارتواء

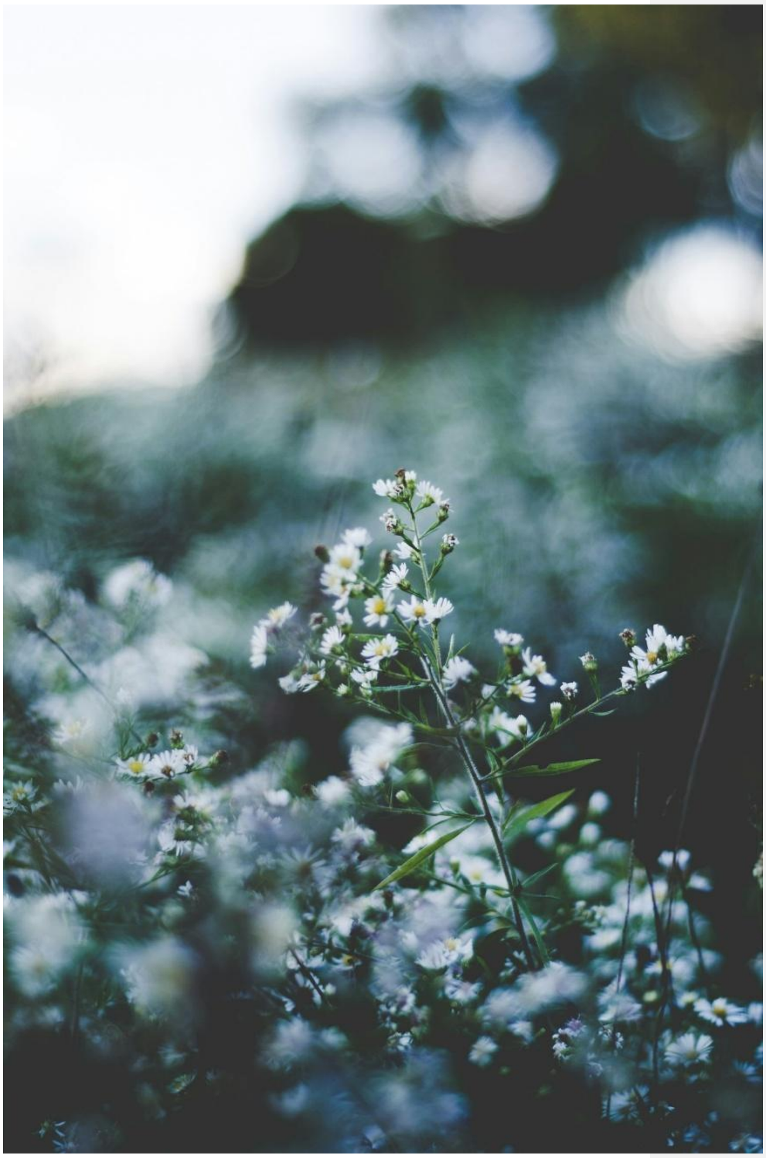

تفريغ محاضرة

نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٤٤٣/٩/٣ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

سنتناول اليوم اسمي الله - عز وجل - الغفور والغفّار، وسنرى كيف يعمل هذين الاسمين في مثل هذا الوقت بالذات وكيف نحتاج هذين الاسمين بالضبط في أيامنا الأولى من رمضان. سأبدأ بحديث عن النبي صلى الله عليهم وسلم:

عن أبي طويل شطب الممدود؛ أنَّه أتى النبيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال:

أرأيتَ مَنْ عمِلَ الذنوبَ كلَّها ولَمْ يتْرُكْ منها شيْئاً وهو في ذلك لَمْ يَتْرُكْ حاجَّةً ولا داجّةً إلا أتاها، فَهلْ لذلِكَ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قال:

"فهلْ أسْلَمْتَ؟ ".

قال: أمَّا أنا فأشْهَدُ أنْ لا إله إلا الله، وأنَّك رسولُ الله. قال:

"تَفْعَلُ الخَيْراتِ، وتَتْرُكُ السَّيِّئاتِ؛ فَيَجْعَلُهُنَّ الله لَك خَيْراتٍ كلَّهُنَّ".

قال: وغَدَراتي وفَجَراتي؟ قال:

"نعم".

قال: الله أكبَرُ، فما زالَ يُكَبِّرُ حتَّى توارى

[أخرجه الطبراني ، وقال الالباني: صحيح]

يعني لا داجة ولا حاجة إلا فعلها، لا يوجد شيء ممكن أن نتخيله صغير أو كبير إلا وهذا الإنسان قد فعله، فعَلَ كل الذنوب، فتخيل لو أتاك شخص وقال لك هذا الكلام، أنا فعلت كل ما قد يخطر على بالك من القطع الثقيل والخفيف فدع خيالك يسرح بماذا ممكن أن يكون قد فعل هذا الشخص!

فتخيلوا هذا الصحابي جاء إلى النبي - عليه الصلاة والسلام - يسأله هل ممكن يتوب الله - عز وجل - عنه وقد اجترأ على الله - عز وجل - بهذا الكم الهائل من الذنوب؟ قد يكون قاتلًا، أو قد يكون قاطعَ طريق، أو قد يكون زانيًا، قد يكون فعل أي شيء من الذنوب، والنبي - عليه الصلاة والسلام - يقول له تفعل الخيرات وتترك السيئات تقلب لك حسنات كلهن، فقام الرجل يكبر فكيف ممكن أن يُغفَر لشخص مثلي؟ أنا لا أستحق أن يغفر الله -عز وجل- لي، فهو استعظم أن الله -عز وجل- يغفر له.

هذا ما حصل له وعايشه، فلو عشنا بمثل شعوره وشعرنا بهذا الإنسان الذي يئس من نفسه، إذ قد تمر على الإنسان لحظات يشعر فيها باليأس،

فقد يدخل رمضان وقلوبنا لم تشعر به ونكون في دوامة ونحاول قراءة القرآن ونحضر الدروس ولكن دون جدوى فالقلب لم يتحرك! أحيانًا يصل الإنسان إلى مرحلة من القنوط ومن اليأس والهون على نفسه إلى أن يقول: لو كنت أسوى عند الله -عز وجل- لعصمني ولأحيا لي قلبي، لكن كما قال السلف: **هانوا عليه فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم**. الله -عز وجل- حينما يعز عليه عبد لا يتركه للذنب، بل يحول بينه وبين الذنب كما حال بين يوسف وبين فعل الفاحشة، فالله يحول بينك وبين الذنب وأما الإنسان الذي يهون، الذي يسابق الذنوب اجتراء شيء سيئ بينه وبين الله، إذا هنت على الله خلى بينك وبين شيطانك، فيصبح الشيطان يلعب بك مثل الريشة، فهذا الإنسان ينظر إلى نفسه ويقول أنا لا يوجد بي أمل، ولا أشعر أني من الممكن أن أستقيم، فهو قد قنط من نفسه، لمثل هؤلاء يقول الله -عز وجل- في هذه الآية:

قال تعالى :(وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠))(الفرقان:٦٩-٧٠).

وهنا نرى أكبر ثلاثة ذنوب ممكن أن يفعلها الإنسان، أن تشرك بالله أو تقتل نفسًا أو تزني، ومع ذلك يبدل الله - عز وجل- تلك السيئات حسنات بمجرد اللحظة التي تقول فيها يا رب تبت، يا رب اغفر لي أنا لست نفس الشخص الماضي، يا رب سأنزع نفسي نزعًا من ذلك الواقع الذي كنت أعيشه،

بمجرد هذا القرار فالله -عز وجل- ينزعك مما كنت فيه ويقلب لك كل سيئاتك، عمرك أربعين، عشرين، ستين سنة يقلب الله لك، مثل الفرنسي في بلاد المغرب وعمره تسعون سنة، عمره تسعون سنة فيقلب الله كل سيئاته حسنات حينما تاب ولو كانت في اللحظات الأخيرة قبل موته، ولذلك الله -عز وجل- حينما قال في الآية، قال تعالى :(وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)(آل عمران:١٣٣).

لاحظوا الكلمة "**المتقين**"، ونحن عند سماعنا المتقين تفز قلوبنا، لأننا في شهر التقوى في شهر الصيام، فنحن الآن بيننا وبين التقوى نوع من المنافسة ألا نخرج من رمضان إلا على تقوى الله-عز وجل-، فما هي صفات المتقين؟

قال تعالى :(الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)(آل عمران:١٣٤). فقط هذه الصفات؟ لا بل اسمع الآية التي بعدها، قال تعالى:(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ)(آل عمران:١٣٥).

حتى هذا الإنسان المتقي ليس ملاكًا، إلا وتفلت منه لحظة، قد يذنب ويعصي قد تأتيه لحظة ضعف، قد يمر بموقف ولا يستطيع مقاومته، وبمجرد ذكره لله يستغفر -عز وجل- ولا يستمرئ ذنبه ولا يختم على نفسه ويقول: لا، ليس بي أمل أو رجاء، أنا لا أنفع لهذا الطريق ولا أقدر أن أتوب، لا، ولذلك الله -عز وجل- عظّم شأن الذنب ولم يقُل

اكتسبوا السيئات فقط وإنما قال تعبيرا عن ذلك، قال تعالى :(.. اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ..)(الجاثية:٢١). الاجتراح أي الكسب، أنه هو فعل، ولكن هناك معنى زائد في كلمة اجترحوا السيئات، حينما يقول الله -عز وجل-، قال تعالى :(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)(الجاثية:٢١).

الجرح بمعنى القطع، هناك شيء ينزف، هناك شيء أنت آذيت فيه نفسك، فمعناه أنت لم تكسب الذنب فقط، أنت عندما نظرت إلى حرام، مسلسل، شيء مُضحك، فيلم، سهرة، أو غيبة قلتها في أحدهم أو أي شيء من هذه الذنوب التي تفلت من الإنسان، أنت عندما فعلتَ هذا الذنب كأنك أخذتَ السكين وشرطتَ نفسك،

فقد لا نرى ولكن هذا كمن يشرط قلبه وإيمانه من الداخل، ولذلك عندما نكثر على أنفسنا نصبح ضعاف، مثل القلب الضعيف الذي ينزف في كل مكان، تريد أن تذهب إلى صلاة التراويح كي تخشع في الصلاة، فكيف تخشع وهذا القلب ينزف؟، **فسماه الله -عز وجل- اجتراح الذنب،**

ولذلك في قانون السموات والسنن الإلهية أن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، يعني الأمر غير عادي عندما نسهر على حرام أو نسمع الطرب والموسيقى، من غير العادي أبدًا أن نفعل الذنب ونتعايش معه، فالعبد يحرم الرزق بالذنب يصيبه، قال تعالى :(لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا)(النساء:١٢٣). فأي إنسان يعمل سوء لابد أن يجزَ به، الكلمة هذه أخافت العابدين أن كل سوء نقوم به فالله سنجزى به، فلو قمنا بِعَدّ الذنوب التي يجازينا الله فيها، لو سألنا أنفسنا هذا السؤال سنعرف أهمية استذكارنا لاسم الله الغفور، لأننا نحتاجه بشدة.

كل سيئة يفعلها الإنسان سيجازى عليها، لذلك عندما يشعر الواحد فينا أن شؤم الذنب قد أحاط به من كل مكان ونغّص عليه حياته، وتشعر أحيانا أن الظلام، ظلمة الذنوب، قد أطفأ في عينيك البهجة، فلم يعُد أي شيء يفرحك، فالذنوب لا تسبب الحزن والكآبة فقط، بل تطفئ البهجة في العيون، فيعمل الإنسان الأشياء التي كانت تسعده فلا يشعر بالسعادة، يسافر إلى مكانٍ يُحبّه فلا يجد نفسه، يخرج مع أحبابه فلا يجد المتعة، كل الأشياء التي كان يفعلها فقدت الطعم تمامًا، **لأن الله -عز وجل- عندما ينزع سعادة إنسانٍ في الحياة، فلا أحد يستطيع أن يعيدها له،** هذا شؤم الذنب وظلمة الذنب، تجعل السعادة تنطفئ في العينين، وتجعل الإنسان لا يستلذ لا بصلاة ولا بحياة ولا بولد ولا بدنيا ولا في عبادة، لذلك عندما يشعر الإنسان أنه يعيش مثل هذه الحالة النفسية، انطفاء البهجة، يشعر أنه تائه، يقضي حياته دون أن يعيشها، فهو بحاجة إلى اسم الله الغفور، والغفَّار.

الناس تلتفت إلى بلاء الجسد، وعندما يمرض الإنسان مباشرة يتوجهون إلى الطبيب، ويذكرون له الأعراض كي يقوم بالتشخيص والعلاج، ولكن حينما تمرض الروح، يبدأ الإنسان بالدوران حول نفسه، لا يعلم ماذا به، ويمرض الجسد، ويشعر المرء بالاختناق دون معرفة سبب وراء ذلك، وهذا الشعور الناس تتعالج بسببه، وقد يأخذون أدوية كي يذهب هذا الشعور، لكن هناك شيء من الداخل قد لا يذهب فهو يحتاج إلى أمر آخر، ولذلك قال الله -عز وجل-:(بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)(البقرة:٨١).

قد نكون مررنا على هذه الآية كثيرًا، وفسَّرناها، ولكن عندما نقول أحاطت به خطيئته، أنرى كيف يحيط السوار بالمعصم دون أي فتحة؟ أتعرفون بم شبهها العلماء؟ أنه في سجن ضيق، تخيل أنك في سجن مساحته متر في متر، تخيل فقط، اسرح بخيالك، أنك جالس في مكان متر في متر، مغلق عليك، كيف تتنفس؟ الآن لا أحد يقوم بتعذيبك، ولكن المكان ضيق متر في متر، تمد يدك فلا تمتد، تمد رجلك فلا تمتد، تخيل أنك تجلس بهذا الوضع ليومين، خمسة أيام، شهر، وأنتَ في هذا المكان عالق، فهل تتخيل إحساس الضيق الذي تكون فيه؟!

هذا الإحساس نفسه وأضعاف مضاعفة لمن حبسه ذنبه، للإنسان المحبوس في هواه والذي لا يستطيع أن يخرج، هو يقابل الناس يركب سيارته وهي تذهب وترجع لكنه محبوس في هذه المساحة الضيقة، غير قادر على التنفس، أذكر إحدى البنات كانت تقول أنها فعلت شيء من الذنوب كانت تركته منذ سنين، تقول استغفرت واستغفرت، قلت أستغفر الله، أستغفر الله، وذهبت وأنا أشعر كأن هناك شيء جاثم على صدري، أنا ما الذي دفعني لأفعله؟ لذلك العلماء يقولون: لذة الذنب لحظة، تنتشي في لحظة المعصية، سهرت وانبسطت، حضرت حفلة وانبسطت في لحظتها، لكن لو القلب صاحي وصحيح قد تجلس مريضًا أسبوعين، وأنتَ كئيب وحزين وكأن هناك ما يجثم على صدرك، وأنت تصبح وتمسي لا تعلم ماذا بك، لكنها الروح، الروح التي أنّت لأنه لم يعجبها الشيء ما اقترفت، التذ الجسد في لحظة، وفي اللحظات الأخرى بكت الروح، ولذلك قلنا فلو لم يكن هناك جنة أو نار لكفى بالذنوب جحيما.

حتى لو لم يكن هناك جنة أو نار، هذا الإحساس الذي جثم على صدرك يكفي للإنسان أن يعرف شؤم ذنبه، ولذلك من شؤمها أن كل بلاء وكل مصيبة يصابها الإنسان هي كلها بما كسبت أيدينا، يقول الله -عز وجل-: (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ)(الشورى:٣٠). ويعفو عن كثير يعني أن الذي نجازى به هو شيء قليل فقط، قال تعالى:(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ((الروم:٤١). ليذيقهم (بعض) لاحظوا الكلمة (بعض) بكل الفساد الذي فعله البشر، وكل الفساد وكل الانتكاسة في الأخلاق فقط يذيقهم الله بشيء مما فعلوه أو كسبوه، نحن عندما ينتشر عندنا العقوق وينتشر تأخير الواجبات، فالفجر لا تصلى إلا بعد إشراق الشمس، والعصر لا تصلى إلا قبل المغرب بقليل، الغيبة وغيرها من الذنوب، فلا نسأل إذًا ما الذي نتحصّله من نكد العيش، وهذا مصداق قول الله -عز وجل-: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ..)(طه:١٢٤).

أن عَمْرِو بْنَ الْعَاصِ ...أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟» قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟» [أخرجه مسلم في صحيحه]

يعني أنا سأسلم، ولكن قد كانت لي غدرات قبل الإسلام، في الجاهلية، كنا نغزو ونقاتل وفعلنا كل شيء، فقال له النبي - عليه الصلاة والسلام- وقد تبسم له: مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ ركز في الكلمة: (يهدم)، فعندما يصدق الإنسان في توبته، ويصدق في رجوعه

إلى الله -عز وجل-، يهدم الله -عز وجل- كل سابق حياتك، كل الذنوب السابقة، أي شيء كنت تفعله قبل اللحظة التي تبت فيها، الله يغفرها لك، ويهدمها تماماً، بل من كرمه أنه يبدلها حسنات، ولذلك اليأس من رحمة الله -عز وجل- أعظم من فعل الذنب، ماذا قال يعقوب؟ (... وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)(يوسف:٨٧).

فلا تيأس من رحمة الله أو تظن أن الله -عز وجل- لن يغفر لك، عمر ابن الخطاب عذَّب المسلمين حينما كان على كفره، وكان سوطه يشهد بما ساطه على ظهور المسلمين حينما كان يعذبهم على الإسلام، ولم يكن هناك أحد أشد بغضًا وكراهية للدين من عمر، فكان من يسلم، هو المسؤول عن تعذيبه، فعذَّب كثير من الصحابة خصوصا الموالي والجاريات وغيرهم، وكان يقول: كلت يدي والله ما تركتك إلا ملالا، يعني أنا فقط تعبت ومللت من ضربك، وإلا فأنا أريد أن أضربك أكثر، كيف كانت قسوة القلب ؟!

حتى قال الصحابة أنه لو أسلم حمار الخطاب لأسلم الخطاب، هذا الرجل بهذه التركيبة وهذه القسوة، هذا الإنسان الذي يبغض هذا الدين، ولا يمكن أن يسلم! ومع ذلك يقضي الله تعالى أمرًا كان مفعولا، ويأتي بقلب عمر ويتحول من هذا الإنسان القاسي إلى عمر الفاروق الذي عندما تقرأ سيرته كان على خديه مثل سير النعل من الدموع، أي أن الدموع حُفرت على خده من كثرة بكائه من خشية الله -عز وجل-، ويصبح هو ثاني رجل في دولة الإسلام بعد أبو بكر الصديق.

اليوم كان الإمام يقرأ في التراويح قصة السحرة، سحرة آل فرعون، أصبحوا في ذلك اليوم وهم سحرة فجرة، وكان أكبر اهتماماتهم مادية، ماذا ستعطينا يا فرعون، نحن مقربون فما هي الجائزة التي ستعطينا إياها عند انتصارنا، كل هذا التفكير الهش السطحي، سحرة! وما إن انكشفت لهم معجزة موسى -عليه السلام- وعرفوا أن ما عنده هو الحق حتى قالوا تلك الكلمة التي يجعلها الإنسان شعار له في حياته، يقولون لفرعون الذي يعرفون لأي درجة هو جبار ويمكن أن يبطش بهم، وواضح لأنه ما تم عليهم اليوم إلا وقتلهم، فهم يعرفون، ومع ذلك قالوا:

(قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)(طه:٧٢).

في لحظة، موسى لم يتكلم معهم، ولم يعطهم درسًا، لم يقُل أنتم ستدخلون الجنة، هي فقط المعجزة التي حصلت، علمتهم أن هناك إله واحد، وأنه هو الذي يُعبد، وأنه أنت يا فرعون، (لن نؤثرك) هؤلاء السحرة يرفعون شعار ألن نؤثر أحدًا على الله، إذًا، ألستُ أنا وأنتم أحق بأن نرفع هذا الشعار؟! ونقول لكائن من كان أنا لن نؤثركم على الله؟ أنتم أبناء عمي، أصدقائي، أنا لن أؤثر أحدًا منكم على الله، وفي رمضان بعد هذا أضعاف مضاعفة، من ذلك أيضًا خالد بن الوليد، فلم يُقتل في المسلمين أحد بسبب أحد مثل ما قُتل بسبب خالد، سبعون من الصحابة من خيار الصحابة قُتِلوا في أُحد بسبب الالتفات الذي فعله خالد بن الوليد، النبي -عليه الصلاة والسلام- دُمي وجهه وكسرت رباعيته حتى قال النبي -عليه الصلاة والسلام- كيف يفلحُ قومٌ أدموا وجه نبيهم؟

فينزل الله عز وجل الآيات :(لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ)(آل عمران:١٢٨). أنت لا تعلم وقد سبق في علم الله -عز وجل- أن يُسلم خالد وأن يُسلم عكرمة ابن ابي جهل، وأن يُسلم صفوان ابن امية، وأن يُسلم ابن حرب وكل هؤلاء كانوا في أُحد من الصف المقاتل، وينقلبون إلى صحابة وحَسُنَ إسلامهم، ونحن لا نقول أسماءهم إلا ونقول رضي الله عنهم وأرضاهم.

خالد ابن الوليد يخرج ويتحول من ذلك الاسم أنه السبب الأول لهزيمة المسلمين، يتحول إلى سيف الله المسلول، فلا يقنط على الله قانط، ولا ييأس إنسان على الله -عز وجل-، كيف وهو الذي يقول لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني لغفرت لك ولا أبالي. فالله -عز وجل- هو الغفور، وهو الغفار،

وفي التفصيل بين الاسمين، فالاسمين اسم بصيغة المبالغة. فليس غافر، لا، غفور وغفار، وكلها جاءت في القرآن، **قال الغفور هو الذي يغفر الذنوب الكبار، والغفار هو الذي يغفر الذنوب الكثار،** فإن كثرت الذنوب فالله يغفرها، وإن كانت كبيرة فيغفرها الله -عز وجل- متى ما صدقت التوبة، فيغفر لأن الله يحب أن يغفر،

وهناك أسباب كثيرة للمغفرة نستعرض بعضًا منها هنا:

١- يغفر الله بالتوبة، فيقول الله عز وجل: (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(آل عمران:٨٩).

٢- ويغفر الله -عز وجل- بالحسنات، يقول تعالى: (.. إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ..)(هود:١١٤). فإذا أتعبتك سيئاتك، افعل الحسنات يغفرها الله لك.

٣- ويغفر الله -عز وجل- بالبلاء، فما يصيب المؤمن من هم ولا غم ولا نصب ولا وصب إلا ويغفرها الله -عز وجل- له بذلك، عضو من بدنك آلمك يغفر الله به لك، هم أصابك، التوتر والقلق الذي أنت فيه يغفر الله به لك.

الإمام أحمد يقول: "لو أن العبد ضيع شيئاً في كمه -بمعنى دخل شيء في كمك وضللت تبحث وتحاول البحث عنه- قال غفر الله له"، وهذا من كرم الله -عز وجل- ما يصيب المؤمن من كل أنواع الهموم دقت أوجلت، يغفر الله -عز وجل- للمؤمن لأن الله يحب أن يغفر لعبده، ولذلك الإنسان أحيانًا في كل مرة يظن في نفسه أنه سيتوب وفي رمضان هذا لن يقوم بفعل الأمور ثم يعود مرة أخرى، ويُقنط الشيطان هذا الإنسان من ربه، لكن الله -عز وجل- يقول: (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ...)(هود:٣). ويقول: (.. لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)(النمل:٤٦).

ونلاحظ الآن :

- تستغفر سيتوب الله عليك.

- وتستغفر فتتنزل عليك الرحمة.

إذًا الآن أنت في منطقة مهمة جدًا، لأنها هي أول الطريق إلى الله، أنك تستغفر فيغفر الله لك، فمتى ما أحسست بذنبك يكويك ويزعجك فابدأ في استغفارك لله -عز وجل- فيتوب الله عليك، فالتوبة مرحلة ثانية، فتقول يا رب اغفر لي ذنبي فيتوب الله عليك، يا رب اغفر لي ذنبي فيرحمك الله -عز وجل- من ذلك الذنب.

قال النبي -عليه الصلاة والسلام- من قال أستغفر الله في يوم مئة مرة غُفِر له، وإن كان فر من الزحف، هذه من السبع الموبقات التي هي مع السحر وقتل النفس والإشراك مع الله، منها الفرار من الزحف، فالنبي يقول: "أستغفرالله" مئة مرة في اليوم، لذلك أذكار الصباح والمساء عندما نستغفر، لابد من حضور القلب، فإن الله يغفر ذنوبنا، وفي رواية أخرى وإن كانت مثل زبد البحر.

فتشبيه النبي -عليه الصلاة والسلام- الذي لم يرَ البحر أصلًا، فيقول غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر، فأنت عندما تستغفر الله تتخيل كمية التطهير اليومي الذي أنت تفعله مع نفسك فقط بهذا الاستغفار الذي تستغفره، فكيف لو أن الإنسان زاد استغفاره فجعله مئتين، أو ثلاثمئة، وأحيانا تشعر أنك لا تريد أن تتوقف لأنك بحاجة، هذا الذي يستغفر سيفرح أيضًا باستغفاره يوم القيامة، يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا.

كلما استغفرت ستجد في صحيفتك هذا الاستغفار الكبير، فما هي طوبى؟ هي شجرة في الجنة يسير في ظلها الراكب مئة عام لا يصل طرفها، تنبت منها ملابس أهل الجنة، فلا يوجد مصانع في الجنة، هي تنبت ملابس أهل الجنة، تتفتح مثل الثمر، فمن هذه الشجرة فتخيل! أنت فقط تستغفر الله، فمتى ما أكثرت، هذه لك طوبى، هذه فقط شجرة واحدة، هذه شجرة فقط من أشجار أهل الجنة لأولئك الذين يستغفرون الله -عز وجل- .

اسمع لهذه القصة التي حدثت للشيخ ابن باز، أحد المسؤولين في أحد الدول العربية، من كبار المسؤولين في أحد قطاعات الدولة، فكانت تُرفع له مظالم الناس فيقضي بينها، وفي يوم من الأيام قضى بباطل في قضية ما، فلم يعدل فيها، فقال له الرجل صاحب القضية: اذهب "إن شاء الله تشوفها في أبنائك"، فالمظلوم دعا على هذا المسؤول، فيقول سمعت الكلمة، ومن الواضح أنه من القلوب القاسية التي اعتادت سماع دعوات الناس، يقول بعدها بساعات زوجتي كانت حامل ولما ولدت، ولدت شيء ليس بجنين كأنها مُثلى، يعني شيء كأنه كائن وما عاش إلا أيام ثم مات، فيقول لم ألقِ لها بالًا، فيقول ثم ذهبنا في مهمة عمل، هو ومجموعة من الناس، يقول في أول ما لزومنا الطريق انقلبت بنا السيارة وماتوا كلهم وبقيت أنا، يقول عندها أحسست بالكف الثاني، قلت لا لا، الوضع لا يحتمل، فعندما رأيت كل الذين معي ماتوا وأنا بقيت وأن الله أمهلني أحسست أن الرسالة لي، يقول

مباشرة استقلت من عملي، ومباشرة حجزت إلى السعودية للعمرة، وطلبت مقابلة الشيخ ابن باز، وهو مسؤول، فلما ذهب للشيخ ابن باز قال له أنا فلان الفلاني أعرفك بنفسي، أنا كنت كذا يا شيخ وفعلت في المنصب الذي كنت فيه كل شيء يمكن أن تتخيله، وآذيت الناس وظلمت، وفعلت، لكني الآن تبت، فهل يتوب علي الله؟ فقال له الشيخ ابن باز: وهل جُعِلت التوبة إلا لك؟ ولمثلك؟ إذًا التوبة لمن؟ للناس الصالحين؟، يقول هي فقط تلك الكلمة، تنقلب حياتي مئة وثمانين درجة، يقول عندما علمتُ أن لي في الحياة متسع، وعندما علمت أن قبول الله -عز وجل-، حينها انقلبت الحياة مئة وثمانين درجة، عرف الإنسان ربه وتاب، حاول أن يصلح ما يصلح وأن يُكثر من الأعمال التي يستفيد منها الناس، فإذًا هذه التوبة لله -عز وجل-، وهذا مصداق قول الله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ)(النجم:٣٢). إذًا المغفرة لا تُحد بحدود بل إن الله -عز وجل- هو واسع المغفرة، فلا يقول قائل جاهل يا جماعة لا تخيفونا، فالإنسان يفعل ما يريد والله غفور رحيم، لا، الضابط أين؟

أنك تستغفر الله وأنت ماذا؟ تعلم أنك أنت فاعل الذنب وغير مصر على ذنبك، فحتى لو عدت بعدها لكن أنت تائب تبت ثم ضعفت وفعلتها مجددًا لا توجد مشكلة، لكن ليست في كل مرة تفعلها ثم تستغفر وأنت تعلم أنك ستفعلها فيما بعد، فهذا نوع من الاستهزاء بالله -عز وجل-، ولذلك قال السلف إذا استغفرت وأنت مصر على الذنب فأنت كمستهزئ بربك، هذا أمر مختلف، ذاك الرجل الذي أخبر عنه النبي -عليه الصلاة والسلام-، أذنب رجل فقال يا ربي أذنبت فاغفر لي، فغفر الله له، ثم عاد فأذنب، فقال يارب أذنبت فاغفر لي، فغفر له (ثلاث مرات وهو يكرر الذنب)، هذا الرجل كان يذنب في لحظة ضعف ويتوب ويرجع إلى ربه: يا رب سامحني سامحني، فيقول ربي في آخر الحديث: علم عبدي أن له رب يؤاخذ بالذنب ويغفر! قد غفرت لعبدي فليفعل ما يشاء، فالامتحان أن يكون قلبك رجّاع إلى الله -عز وجل- لا يوسوس لك الشيطان فيجعلك تيأس وتقنط، فيوسوس للشخص لا تعمل العمل ثم تعود فتكون كأنك من المنافقين، أنت أدرى بنفسك إن كنت تستطيع مقاومة الذنب ولا تتعامل مع الله -عزوجل- بنوع من الاستهزاء فهذا هو الفارق البسيط بينهما.

من رحمة الله بالعبد أن يُصعّب عليه طريق الحرام حتى لو أراده، وهذا من تمام المغفرة، فحتى لو كان أحدهم هو القائد في جماعة ويقوم بالذنب فيتوب الله عليه و يغفر له، فينسى بعد ذلك كيف كان ولا يتذكر حتى الشعور، ولا يعرف كيف يسرق الناس أو غيره، يقول السلف: إن فلان كان لا يحسن أن يعصي الله، فلا يعرف. أبو هريرة جاء رجلٌ إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: إنَّ فلانًا يصلّي باللّيل فإذا أصبح سرق قال: ((سينهاهُ ما تقولُ)) [أخرجه أحمد في مسنده ، وقال الالباني : صحيح .] وبالفعل نهته الصلاة عن ذلك، قال العلماء: هذا عبد ضعيف مبتلى يجاهد نفسه، فهو لا يعمل الاثنين ويخدع الناس بل يحاول أن يزيد من منسوب الخير ويزاحم الشر بالخير.

الذنوب نوعان: ذنوب يغفرها الله، ولذلك نقول ربي اغسل حوبتي، وذنوب تحتاج إلى أن يسللها الله - عز وجل- ولذلك نقول واسلل سخيمة صدري، فما الفرق بينهما؟

الذنوب التي يغسلها الله هي الذنوب الكبار الكثار التي يفعلها الإنسان، والذنوب التي يسللها الله هي الذنوب الصغيرة التي تحتاج أن تسل وأن تؤخذ بملقط، فأحيانا هي داخل وعميقة، لا ينتبه لها الإنسان ولكن لكثرة

الاستغفار والتوبة يسللها الله، فهي كالذنب المؤرق للشخص، شبهت بالإنسان الذي يشرب كأس شاي وعندما يغسله مباشره ينظف مباشرة وعندما يترك أيام أو سنة فلا ينغسل بهذه السهولة بل يحتاج إلى فرك أو حتى إلى سكين حتى يزال هذا التراكم، مع أن الشيء واحد، لكن التراكم جعله يحتاج جهد أكبر.

الدعاء الذي أخبرنا عنه النبي -عليه السلام-:(إِذَا اكْتَنَزَ النَّاسُ الدَّنَانِيرَ وَالدَّرَاهِمَ فَاكْتَنِزُوا هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ علام الغيوب)[أخرجه ابن حبان في صحيحه ،وقال الالباني صحيح لغيره].

فالثبات على الأمر نحتاجه في العشر الثانية، في البداية الكل مجتهد، لكن قد تدخل العشر الوسطى فتثبط الهمة بسبب المناسبات و الغبقات، والعزيمة على الرشد ألا نشعر بالفتور، وموجبات الرحمة لأن من غير رحمة الله لن يستطيع المرء أن يعمل شيء، فرحمة الله تتنزل عليك فتنتهي من ٣ أجزاء والنية كانت جزء، والقلب السليم لأنه لا ينفع يوم القيامة المال والبنون، قال الله عزوجل: (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)(الشعراء:٨٩). وقال الرسول عليه السلام عن اللسان الصادق: "لا يَسْتقيمُ إيمانُ عبدٍ حتى يَسْتَقيمَ قلبُه، ولا يَسْتَقيم قلبُه حتى يَسْتَقيمَ لِسَانُه ..." [أخرجه أحمد في مسنده ، وقال الالباني : حسن .]

<u>أسباب المغفرة: ما الأشياء التي نعمل بها حتى يغفر الله لنا؟</u>

من الأمور التي تساعدنا في تقوية العبادة والصيام، من موجبات الرحمة وعزائم المغفرة أشياء يومية نعملها لكن نحتاج أن نحتسب فيها، أول عمل من هذه الأعمال:

١. إسباغ الوضوء، قال -عليه السلام-: (قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ»]أخرجه مسلم في صحيحه]

وهذا في الوضوء فقط فكيف بالصلاة!، وقال عليه السلام: ("رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَكَانَتْ صَلَاتُهُ وَمَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ نَافِلَةً»]أخرجه مسلم في صحيحه [بمعنى أن الصلاة لا تكفر شيء فقد غُفِر لك، فتكون حسنات إضافية، فعندما تستشعر قبل الوضوء والصلاة فلن تكون نفسك بعد الوضوء والصلاة فهناك ماهو جاثم على صدرك وذهب بالوضوء، قال -عليه السلام-: «مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، غُفِرَ لَهُ مَا خَلَا مِنْ ذَنْبِهِ» [أخرجه مسلم في صحيحه] وقال أيضا: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ - أَوِ الْمُؤْمِنُ - فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ -، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ -، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ

الذُّنُوبِ» [أخرجه مسلم في صحيحه] فهذا كله يحصل عند المغسلة! هذا عندما يصدق الإنسان في وضوءه ويحتسبه.

٢. يقول النبي عليه السلام: يقول النبي عليه السلام: " مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " [أخرجه الترمذي في سننه ، وقال الالباني حسن].

أمر الحامدين عظيم، أنك تحمد الله عظيم، من منا حمد الله اليوم بعد الفطور؟ من تذكر أن يسمي؟ من الذي قال الدعاء عندما لبس؟

٣. قال عليه السلام: قال عليه السلام: مَنْ لَبِسَ ثَوْبًا فَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي، وَلَا قُوَّةٍ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ» [أخرجه أبو داوود في سننه ، وقال الالباني: حسن]

فهل تتخيل وهل أنت بعد هذا في تفريط وغفلة؟

هذه من العبادات اليومية، تلبس ثوبك تقول الحمدلله، ربي كسانيه وهناك غيرنا من هم ليسوا مكسيين، يقاسون البرد لا يجدون ما يدفئهم أو أنهم يعيشون في عراء، فكسوتك أكلك طعامك شرابك، أمر الحمد أنك تُرجع النعمة إلى من أسبغها عليك، هذا عظيم فمجرد أنك تحمد الله -عز وجل- فهذا من مواطن المغفرة .

٤. وأيضا يقول النبي -عليه الصلاة والسلام- في الحديث: «مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ» [أخرجه البخاري في صحيحه] فمن كانت له ثلاث بنات أو أخوات فأحسن إليهن كن له حجابا من النار يوم القيامة، وفي رواية(كن له سترا من النار)

جاء الحديث في ثلاث، وجاء الحديث في اثنتين، وجاء الحديث في شيء، أي لو كان عنده شيء من البنات، وهذه من علو شأن البنات ومن أجر البنات في الإسلام .

٥. أن تذب عن عرض أخيك .

قال النبي عليه الصلاة والسلام : قال النبي عليه الصلاة والسلام : «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ القِيَامَةِ» [أخرجه الترمذي في سننه ، وقال الالباني : صحيح]، مجرد دفاعك عن إنسان ثان ترد عنه الغيبة إلا ويعتقك الله -عز وجل- من النار .

٦. يقول النبي عليه الصلاة والسلام : " لَنْ يُوَافِيَ عَبْدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ "[أخرجه البخاري في صحيحه]

والعتق من النار يعني مغفرة الذنب، ولهذا نقول حرم الله عليه النار، فتهليلك مجرد أنك تقول لا إله إلا الله، ترى الذي أنقذته كلمة لا إله إلا الله ما أنقذه عمل كبير، فقد يكون لديه سجلات سيئات عظيمة ثم جاءت هذه البطاقة ومكتوب عليها لا إله إلا الله، يوم من الأيام هلل وهو مخلص صادق يبتغي بها وجه الله يقينًا، رأى منظر شرك فقال لا إله إلا الله، هذه التهليلة نفعته يوم القيامة وُضعت في الميزان وطاشت كل سجلات السيئات بتهليلة، فلذلك الإخلاص وقول لا إله إلا الله يغفر الله بها .

٧. أيضًا من الأعمال أن تحافظ على أربع قبل الظهر وأربع بعدها، قال النبي عليه الصلاة والسلام :«مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا حَرَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّارِ» [أخرجه النسائي في سننه ، وقال الالباني: صحيح]. فنلاحظ هنا كيف حرّم الله -عز وجل- عليه النار فقط لأنه حافظ على الأربع ركعات قبل الظهر وبعدها، وهذا من الأمور التي من الممكن أن يلتزمها المرء في رمضان، ولن تأخذ منه وقتًا، فحتى لو كان لديه دوام قد يستطيع أن يصلي أربعة قبلها مع الفرض ثم يصلي الأربعة لاحقًا حيث هناك متسع من الوقت.

٨. قال النبي عليه الصلاة والسلام :«لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» [أخرجه مسلم في صحيحه] صلاة الفجر وصلاة العصر، أنك تحافظ على هاتين الاثنتين ولا تفوت منك ولا تأخرها حتى شروق الشمس أو حتى غروب الشمس، فمن صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها لن يلج النار يوم القيامة.

٩. أيضا من مواطن المغفرة حسن الخلق، قال النبي عليه الصلاة والسلام : «من كان سهلا هينا لينا حرمه الله على النار» [أخرجه الحاكم في المستدرك ، وقال الالباني: صحيح]. نلاحظ أن هذا بالخلق فقط، ولذلك ليس سهل فقد تكون أفضل إنسان ثم موقف واحد فقط يُخرج جنونك ويرجعك إلى نقطة الصفر، فتبدأ من جديد، فمن كان هينًا لينًا قريبًا سهلًا حرَّم الله وجهه على النار، وهذه من مواطن المغفرة.

١٠. ومن مواطن المغفرة أيضًا الهجرة إلى الله -عز وجل-، وهذه الهجرة كيف تكون في حقنا؟ قال النبي عليه الصلاة والسلام :"... وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ» [أخرجه البخاري في صحيحه .] فابحث في حياتك عن الأشياء التي نهى الله -عز وجل- عنها واهجرها، واتركها واستشعر بشعور الصحابة عندما هاجروا من مكة إلى الحبشة وهاجروا من مكان إلى مكان فالله -عز وجل- لم يفرض علينا أن نهاجر من بلد إلى بلد، لا، التوبة تأتي بأنك تهجر ما نهى الله عنه، ذنوب أو شيء من الحرام اتركه، فإذا هجرته كنت مهاجرًا.

قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث وهذه نوع من أنواع الهجرة : قال : «عبادة في الهرج والفتنة كهجرة إلي» [أخرجه الطبراني في الكبير ، وقال الالباني:صحيح]، عبادة في الهرج عندما تختلط الأمور على الناس،

الهرج : كثرة الفتن، كثرة القتل، والمرج بمعنى الأشياء عندما تختلط في بعضها البعض، الباطل معروف والمعروف باطل والمنكر لم يعد الإنسان يعرفه،

فالإنسان الذي يستقيم عندما الناس كلها انحرفت، كالتي تقرر أن تتحجب وتتغطى عندما كل الناس تركوا الحجاب، أو كالذي يتوب إلى الله -عز وجل- من ذنبٍ ما،

الإنسان الذي يمشي عكس هذا التيار ويتوب الله عليه في وقت الهرج، والمتمسكون الآن بالدين ويقول لهم الناس هل يلبس كذا أو يفعل كذا في هذا الزمن؟ هل يوجد من يترك هذا الأمر المحرم الآن؟ كل الناس تفعله! عبادة في الهرج، في الوقت الذي تختلط فيه الأمور وتصبح أنت الذي يتمسك بالدين مختلف وتقوم بشيء صعب جدًا، يقول النبي (عبادة في الهرج كهجرة إلي)، كأنك هاجرت إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- وهذه من أعظم المنازل، ولذلك الصحابة يقول عنهم الله -عز وجل-:(لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)(الحديد:١٠). يقول العلماء اشتركوا في العبادة واختلفوا في التوقيت، كلهم أنفقوا، هذا مثلًا أنفق ٥٠٠ دينار وهذا أنفق ٥٠٠ دينار، اختلفوا في التوقيت، هذا أنفق في وقت العسرة قبل فتح مكة عندما كانوا مطاردين و مهاجرين، عندما كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يُرمَى على ظهره سلى الجزور، عندما كان المسلمين مطاردين ولم يكُن أحد يأبه لهم، وذاك أنفق عندما أصبح الإسلام في قوة، هناك فرق بين هذا وذاك، فلاحظوا أن العبادة هي نفسها، كلاهما أنفقا واستويا في الفعل ولكن اختلفا في التوقيت، ولذلك الذي يعبد الله -عز وجل- ويستقيم على أمره في لحظات الهرج والمرج، وفي لحظات اختلاف الأمور، هذا الذي تثبت رجله في الدنيا ونسأل الله ذلك يوم القيامة.

١١. قال النبي -عليه الصلاة والسلام-، وهذه من مواطن المغفرة أيضًا، في حديث يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت لا .... قلت: نعم في الكفارات والدرجات والكفارات: المكث في المساجد بعد الصلوات ...) [أخرجه الترمذي في سننه ، وقال الالباني :صحيح].

اسمعوا هذه الفائدة الجميلة للإمام الخطابي: قال، بمعناه، قال: عندما تحتار في نفسك، ولا يكون لك أي عزم و لا إرادة لفعل شيء من الخير، تريد أن تترك ذنبًا أو تفعل خيرًا تقرأ القرآن ولكن لا تستطيع ولا عزم لديك، قال فإذا احترت في نفسك فالزم المسجد فنم فيه، فقط امكث به و لا تفعل شيئًا آخر، اترك كل شيء واذهب للمسجد، لماذا؟ قال لأنك طالما لزمت المسجد فالملائكة تدعوا لك لأنك في المسجد، أنت تنتظر صلاة إلى صلاة والملائكة فوقك تدعو لك، اللهم اغفر له اللهم ارحمه، اللهم اغفر له اللهم ارحمه، أنت نائم الآن لا تريد أن تقرأ القرآن فقط تنتظر الصلاة، في هذا الانتظار الملائكة فوقك تدعو لك، اللهم اغفر له اللهم ارحمه، وهل تظنون أن الله -عز وجل-

لا يجيب؟ كيف تخرج من هذه الجلسة والملائكة فقط تدعو لك؟ ولذلك من الكفارات المكث في المساجد، وكذلك الوضوء على المكاره والمشي إلى الجماعات.

١٢. ونذكر أيضًا موطن مغفرة بسيط وسهل، قال النبي -عليه الصلاة والسلام-:

" إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ، فَأَمِّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ .. " [أخرجه البخاري في صحيحه].

وهذا لا يكون إلا في صلاة جماعة، فأنتَ تقول آمين، وافقت الملائكة غفر لك ماتقدم من ذنبك، سمع الله لمن حمده وافقت الملائكة غفر لك ماتقدم من ذنبك.

١٣. وكذلك من مواضع المغفرة، حينما قال النبي عليه الصلاة والسلام :" مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتْلِكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ " [أخرجه مسلم في صحيحه] فهذه الجلسة بعد الصلاة لن تأخذ منك ٣ دقائق، فقط اجلس وسبِّح فيها ٣٣ وكبِّر ٣٣ واحمَد الله ٣٣، واجعلها من الأمور اليومية، ليس فقط في رمضان، ثبّتها عندك حتى بعد رمضان، وهذه الجلسة التي بعد الصلاة حاول ألا يأخذها منك أحد إلا بالمقاتلة، أنه يقاتل الإنسان عليها.

١٤. وآخر شيء حديث النبي -عليه الصلاة والسلام- حينما قال: ..." أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ، فَلَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ .." [أخرجه مسلم في صحيحه]. يعني طوال الوقت وهو يمشي تُمحَى عنه سيئة وتُكتَب له حسنة، فهذا من كرم الله -عز وجل-، وهذا كله فقط طائفة سريعة من موجبات المغفرة أو عزائم المغفرة التي يرجوها الإنسان.

وآخر أمر نختم به، إذا كنا الآن نتدارس هذا الاسم الغفور والغفار في وقت رمضان، مهم أن لا ينسى الواحد منا أهدافه، التي دخل بها رمضان، وأهدافنا ليست أهداف كبيرة، ولا هي أهداف مؤسسة، هي أهداف بسيطة جدًا.

الهدف الأول: أن تفوز بالتقوى، لعلكم تتقون، فتجعل في نفسك أنك لا تريد أن تخرج من رمضان إلا وقد كُتِب اسمك عند الله فلان المتّقي، فلان المتّقي ربه، الوحي من السماء جاء للنبي عليه الصلاة والسلام قال: «قال لي جبريل: راجع حفصة فإنها صوامة قوامة .." [أخرجه الحاكم في المستدرك ، وقال الالباني : حسن]. فكل واحد منا له اسم، اسم بأحب الأسماء إليه، فهذا الاسم الذي يأتي للنبي -عليه الصلاة والسلام- فكل إنسان مربوط بالعمل الذي يعمله.

قال النبي عليه الصلاة والسلام:

"... وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا ..." [أخرجه مسلم في صحيحه]

.فهو صادق ويتحرى الصدق فيكتب عند الله صديقًا، وذاك يتحرى الكذب، يعني يكذب ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذابًا،

إذًا كل واحد منا مكتوب عند الله -عز وجل- باسم، بأحب الأعمال وأشهر الأعمال التي يفعلها، فأنتَ ما اسمك عند الله؟ أبو بكر سماه الله -عز وجل- الأتقى: (وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى)(الليل:١٧). قالوا الأتقى هو أبو بكر، فأنت ما هو الاسم الذي سيكون ملاصقًا لاسمك؟

أحد رجال الأعمال في الحرم، رجل أعمال مصري، عنده شيء مقيم عليه يمكن أكثر من عشر سنوات، يفطر الناس في سطح الحرم بِطَن من التمر، تعرفون ما هو الطن؟ ألف كيلو، فهو يأخذ هذا الطن من التمر ومعروف هناك مكان خاص في سطح الحرم هذا لفلان، لهذا الرجل، ويفطر فيه الناس الذين يعتكفون بالعشر الأواخر، ويجلس هناك يتصدق يوميًا بطن من التمر، هذا نوع من الجود فهذا إنسان ماذا يكتب عند الله -عز وجل-؟ الإنسان الذي يتلمس مرضات الله -عز وجل- ماذا يكون اسمه عند الله -عز وجل-؟،

نحن نريد أن نفوز بالتقوى، فانظر ما الذي يمكن أن يكون بينك وبين غضب الله -عز وجل- وعقابه حاجز ووقاية، كيف تستطيع أن تتوب من الحرام؟ كيف تتوب من هذه الأشياء؟ كيف تستطيع أن تثبت السنن التي تفعلها؟ جلسة بعد الفجر هذا الشيء يومي لك في حياتك، قيام الليل، تراويحك، سننك، أذكارك، دعائك، هذا كله كيف ممكن أن تثبته؟

الهدف الثاني: أن تزيد رصيدك الإيماني، أنت تريد أن تزيد إيمانك، ولذلك هذه القاعدة يجب أن تحفظوها جيدًا وأنا أعيدها في كل درس، انحتوها في ألبابكم وتعاهدوها دائمًا لأن هذه القاعدة تعيد ضبط البوصلة في كل مرة يفتر الإنسان ويتوه: الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي.

هل فترت؟ هل أحسست بأن نفسك قامت تستحل شيء من الحرام؟ زِد رصيد الطاعات. إذًا فنحن الآن في موسم نريد أن نزيد رصيدنا الإيماني عند الله -عز وجل- كيف نزيد بمجموعة الأعمال التي يمكن كنا طوال الوقت في الفترة الماضية نحاول نتذاكرها؟ هذه الأعمال منها التي كنا نتكلم على ختمة القرآن وهذا من عمارة الوقت، نحن نريد أن نجمع الحسنات، فمن أين نأتي بالحسنات؟ صدقة تصدقتها في دقيقة؟ فماذا بعد نستطيع أن نفعل؟ هذه ختمة القرآن هي من الأوقات التي تعمر، مصحفك في جوالك وفي يدك وأنت تختم طوال الوقت، تريد أن تجمع حسنات من كل مكان تريد أن منسوب الإيمان، فغير عن الأعمال التي أنت تفعلها الآن،

تكلمنا عن أعمال يحتسبها الإنسان وهي مثل الأشياء اليومية، فتجمع من هنا وتجمعين من هنا إلى أن يزيد الإيمان.

الهدف الثالث:**أن يبلغك الله -عز وجل- أجور فضائل الأعمال**، كل الأعمال التي نعملها لها أجور عظيمة، فأنت لا ترضَ أن تفعلها بقشورها، لا ترضَ أن تصوم عن أكل وشرب فقط، صُم وأنتَ تريد الأجر الأعظم من الصيام، قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: عليكم بالصيام فإنه لا مثل له .لا مثل له في ماذا؟ في الأجر فقط؟ لأن الذي يصوم، الله -

عز وجل-يقول :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ..." [أخرجه البخاري في صحيحه .] فهل لأن أجر الصيام ثقيل؟ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا[«أخرجه البخاري في صحيحه .]

هل هو هذا فقط؟ لا، فإن الصوم لا مثل له، حتى في علاج داء القلب، فيعالج الصيام شيء في قلوبنا لا شيء يعالجه مثله، وعندما جاء مجموعة من الشباب صالت عليهم الشهوة، وهم لا قدرة لهم على الزواج، قال النبي عليه الصلاة والسلام:"... فعليه بالصيام فإن الصوم له وجاء» [أخرجه ابن ماجه في سننه ، وقال الالباني :صحيح] .وجاء مثل الحماية، فتخيلوا الصيام ماذا يفعل بالإنسان، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر» :صوم شهر الصبر "يعني رمضان " وثلاثة أيام من كل شهر يذهبن وحر الصدر» [أخرجه ابن حبان في صحيحه ، وقال الالباني : صحيح]

وحر الصدر بمعنى: الوساوس والظنون والهموم والشبهات، فالإنسان الذي عنده شيء غير مضبوط، في داخله شبهات، وظنون سيئة، وهموم، ومتوتر، صيام ثلاثة أيام من الشهر ورمضان تُذهب وحر الصدر، تُزيل هذا الشي الذي فيك، ولذلك من رحمة الله أن العبادات التي نفعلها نتعبد الله -عز وجل- بها وتكون سعادة العمل لنا، ليذهب وحر الصدر، وكان له وجاء مثل الحماية،

ولذلك الإنسان يرى نفسه قبل رمضان فيمكن أن تكون نفسه متفلتة على ذنوب وعلى معصية ومنذ دخل رمضان يقول لا، لا أنا لا أريد أن أجرح صيامي، وحتى في الليل هناك ناس تقول وحتى في الليل لا أتابع مسلسل ولا شيء، هذا رمضان ولا أريده أن يذهب مني، أنا أريد أن أصوم هذا الرمضان ولا ألغو أو أفطر على حرام، هذا الأمر محافظتك عليه لو كنت صادقًا فيه، الله -عز وجل- لن يضيع لك تعبك بعد رمضان، فلن تجد نفسك بعد رمضان رجعت إلى نقطة الصفر، تجد لزومك للاستمرار وقبلها الله منك، فصارت مثل الديمة لك.

وكذلك القيام، قال النبي عليه الصلاة والسلام »عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى الله تعالى ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد» [أخرجه الترمذي في سننه ،وقال الالباني: صحيح .] فقيام الليل دواء للجسد، وتكفير للسيئات ومنهاة عن الإثم، فقد تنوي شرًا في الصباح ثم تقوم الليل تجد نفسك أصبحت ومالك عزم أن تفعل هذا الشر، لأن القيام ينهى عن ذلك الإثم، ولذلك هناك ساعتان مهمتان لا تفرط بهما، الساعة التي قبل الفجر والساعة التي بعد الفجر، هاتان ساعتان مهمتان في اليوم، الساعة التي قبل الفجر هي الأسحار التي يتنزل الله -عز وجل- فيها ويُسّن فيها الدعاء، والساعة التي بعد الفجر هي التي توزع فيها الأرزاق، وقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: بورك لأمتي في بكورها.

لو ضبطت هاتان الساعتان غالبًا سيضبط يومك كله، فحاول أن تكون حاضرًا في هذي الساعتين وأن تنتظر أرزاق الله -عز وجل- ورحماته التي تتنزل في تلك الساعات.

الهدف الرابع: العتق والمغفرة، إذًا نريد أن نخرج من رمضان وقد كُتبت أسماؤنا عند الله من المتقين، ونريد أن نخرج من رمضان ونحن في زيادة لرصيدنا الإيماني، ونريد أن نخرج من رمضان بالعتق والمغفرة، ونريد أن نخرج من رمضان

وقد قدّرنا الله -عز وجل- على فضائل وأجور الأعمال مثل الصيام والقيام. سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: " إنَّ عَبْدًا أصابَ ذَنْبًا - ورُبَّما قالَ أذْنَبَ ذَنْبًا - فَقالَ: رَبِّ أذْنَبْتُ - ورُبَّما قالَ: أصَبْتُ - فاغْفِرْ لي، فَقالَ رَبُّهُ: أعَلِمَ عَبْدِي أنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويَأْخُذُ بهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ ما شاءَ اللَّهُ ثُمَّ أصابَ ذَنْبًا، أوْ أذْنَبَ ذَنْبًا، فَقالَ: رَبِّ أذْنَبْتُ - أوْ أصَبْتُ - آخَرَ، فاغْفِرْهُ؟ فَقالَ: أعَلِمَ عَبْدِي أنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويَأْخُذُ بهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ ما شاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أذْنَبَ ذَنْبًا، ورُبَّما قالَ: أصابَ ذَنْبًا، قالَ: قالَ: رَبِّ أصَبْتُ - أوْ قالَ أذْنَبْتُ - آخَرَ، فاغْفِرْهُ لِي، فَقالَ: أعَلِمَ عَبْدِي أنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويَأْخُذُ بهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلاثًا، فَلْيَعْمَلْ ما شاءَ " [أخرجه البخاري في صحيحه]

فلا يمل الله حتى تملوا، المشكلة لدينا نحن، نحن الذين نمل، نحن نشعر أننا تُبنا مرتين، إذًا لا فائدة لماذا أعود كل مرة؟، لا يمل الله حتى تملوا.

وأختم بهذا الحديث: قال النبي عليه الصلاة والسلام: قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً " [أخرجه الترمذي في سننه ، وقال الالباني:صحيح.]

إذن هذا كرم الله -عز وجل- الذي يحب أن يغفر وهو الغفور الذي يغفر الذنوب لعباده.

أسأل الله عز وجل أن يغفر لنا في هذه الليلة أجمعين، وأن يهب المسيئين منا للصالحين، وأن يرحمنا، وأن يغفر لنا، وأن يجبرنا، وأن يعتقنا في هذه الليلة من النار نحن ووالدينا ووالدي والدينا، والحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها